المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952-Electronic ISSN 2790-1254
العدد 10 لسنة 2023
No 10 August 2023

سنة ولاية الله للصالحين في القرآن الكريم سورة يوسف أنموذجاً

الباحث حامد عناد كاظم
الاستاذ الدكتور سيد حيدر اشرف آل طه
جامعة الأديان والمذاهب – كلية العلوم والمعارف القرآنية

المستخلص
تعتبر الولاية سنة إلهية لتسيير الكون وهي طريقته سبحانه وتعالى بتسيير شؤون الكون ولها عدة معان واستخدامات في القرآن الكريم فهي سنة كونية واجتماعية و الوَلِيُّ بمعنى الناصِرُ وقيل: المُتَوَلِّي لأُمور العالم والخلائق القائمُ بها و الوالي وهو مالِكُ الأَشياء جميعها المُتَصَرِّفُ فيها، و قد استعملت مفردة الوَلاية في القرآن الكريم بإشتقاقاتها عديد المرات و قد تكون من الكلمات المفتاحية للقرآن الكريم ولها جوانب اعتقادية واجتماعية وسياسية لذلك رأينا أن نبحث عن سنة الباري تعالى في ولايته عباده الصالحين و ندرس جوانبها و ندقق في جزئياتها مع التركيز على سورة يوسف و قصته و تبيين أثر هذه الولاية في الدنيا و الآخرة واثمرت الدراسة عن التعريف بمعنى سنة الله والولاية ومعننى التولي وكيف تولى الله عباده الصالحين ومنهم النبي يوسف عليه السلام بالرعاية الدنيوية والاخروية بحمايته ورعايته وتوفيقه في الدنيا ومنحه الجنان والشفاعة في الاخرة.
الكلمات المفتاحية: السنة – الولاية – الصالحين – القرآن الكريم – سورة يوسف.

The Sunnah Of God's Guardianship For The Righteous In The Noble Qur'an Surat Yusuf As A Model

Hamed Enad Kazem
Prof. Dr. Syed Haider Ashraf Al Taha
University of Religions and Sects – Faculty of Quranic Sciences and Knowledge

Abstract
The state is a divine year for the management of the universe, which is his way Almighty to manage the affairs of the universe and has several meanings and uses in the Holy Qur'an, it is a cosmic and social year and the guardian in the sense of Nasser and said: the guardian of the things of the world and the creatures based on them and the governor, who is the owner of all things disposed of, and has been used single mandate in the Holy Qur'an with its derivations many times and may be one of the keywords of the Holy Quran and has aspects of belief, social and political so we saw that we are looking for the Sunnah of Almighty Bari In his mandate his righteous servants and we study its aspects and scrutinize its parts with a focus on Surat Yusuf and his story and show the impact of this mandate in this world and the hereafter and the study resulted in the definition of the meaning of the Sunnah of God and the mandate and the meaning of taking over and how God took his righteous servants, including the Prophet Joseph, peace be upon him, with worldly and eschatological care by protecting him and caring for him and reconciling him in this world and granting him heaven and intercession in the hereafter.
Keywords: Sunnah – Wilayat – Righteous – Holy Quran – Surah Yusuf.

المقدمة

أولاً: بيان الموضوع:

إن للولاية معانٍ عديدة في اللغة. منها ما استعمل لله جل وعلا الولي وهي في أَسماء الله تعالى: الوَلِيُّ بمعنى الناصِرُ وقيل: المُتَوَلِّي لأُمور العالم والخلائق القائمُ بها و الوالي وهو مالِكُ الأَشياء جميعها المُتَصَرِّفُ فيها. قال ابن الأَثير: وكأَن الوِلاية تُشعر بالتَّدْبير والقُدرة والفِعل وما لم يجتمع ذلك فيها لم ينطلق عليه اسم الوالي. ابن سيده: وَلِيَ الشيءَ و وَلِيَ عليه ولاية و وَلاية وقيل الوِلاية الخُطة كالإمارة و الوَلاية المصدرز قال ابن السكيت: الوِلاية بالكسر السلطان و الوَلاية و الولاية النُّصرة، و قد استعملت مفردة الوَلاية في القرآن الكريم بإشتقاقاتها عديد المرات و قد تكون من الكلمات المفتاحية للقرآن الكريم ولها جوانب اعتقادية واجتماعية وسياسية، ومنها الولاية على النفس أي الرعاية و العناية بما يعجز عنه المتولى عليه أي قيمومية المولى على العبد الصالح، وهذا المعنى ما نقصده ونطلبه في هذا البحث، كما جاء في الآية الشريفة، قل إن وليي الله الذي نزل الكتاب، و هو يتولى الصالحين، و هي على غرار الولاية بالكسر التي تعني الأمارة رغم أنّه هناك قول ضعيف بأن الكسرة لغة و هي مستبعدة حسب القرائن، وقال العلّامة في الميزان حول تولي الجليل العزيز لعباده الصالحون و فى تفسير هذه الآية فاتخذه تعالى إنسانا عبدا - و هو قبول كونه عبدا و الإقبال عليه بالربوبية - هو الولاية، و هو تولي أمره كما يتولى الرب أمر عبده، و العبودية مفتاح للولاية، هو يتولى الصالحين، فالعبودية مفتاح الولاية، أي أنّه من تناله الرعاية و القيمومية و التولي الإلهي من الصالحين، أهلّهم العبودية للولاية فكانوا من الصالحين. كما أننا لا ننسى أن هذه الولاية تشمل المؤمنين ايضا حيث قال الله تعالى في سورة البقرة: اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا، ولكن هل هناك فرق بين هذه الولاية و ولايته للصالحين في المستوى و الكيفية، هذا ما نطلبه في هذا البحث، ومن أبرز مصاديق سنة الله تعالى في توليه الصالحين الذين كان معهم و سدّدهم و رعاهم طيلة مسيرتهم هو يوسف(عليه السلام)التي شملته الولاية الإلهية و رعايته في جميع منعطفات حياته و اللحظات الحرجة. و قد عبّر آية الله ناصر مكارم شيرازي بأروع وصف لشمولية يوسف(عليه السلام)بالولاية الإلهية، لذلك رأينا أن نبحث عن سنة الباري تعالى في ولايته عباده الصالحين و ندرس جوانبها و ندقق في جزئياتها مع التركيز على سورة يوسف و قصته و تبيين أثر هذه الولاية في الدنيا و الآخرة راجين المولى أن يتقبّل منّا هذا القليل.

ثانياً: أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في البحث عن سنة الله سبحانه وتعالى في توليه الصالحين في القرآن الكريم وبيان الصفات التي تواجدت في عباده الصالحين الذي أهّلتهم للشمول بتلك الرعاية.

ثالثاً: هدف البحث:

يهدف البحث إلى دراسة سنّة الله تعالى في توليه عباده الصالحين و معرفة المعايير الإلهية في الشمول باولاية الإلهية مع التركيز على سورة يوسف.

رابعاً: مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث من خلال معرفة ما هي السنن الالهية للصالحين في القرآن الكريم؟ وما هي سنة ولاية الله للصالحين في القرآن الكريم؟ وما هو ظهور سنة ولاية الله للصالحين في سورة يوسف(عليه السلام)؟

خامساً: منهجية البحث:

المنهج المتبع في الرسالة فهو المنهج الوصفي ثم المنهج التحليلي. ووسائل تجميع المعطيات: من مصادر الأنترنت، والأرشفة، والكتب المطبوعة، والمقالات، والكثير من المصادر الاخرى، و سنعتمد كثيراً على القرآن الكريم وتفاسيره المعتبرة في جل مانكتب، لأن الموضوع هو موضوع القرآن الكريم ونسعى أن نجتهد في فهمه واستنباط معانيه بعون من الله.

سادساً: هيكلية البحث:

للاحاطة بهذا الموضوع ارتأينا تقسيم خطة الدراسة على ثلاث مباحث رئيسية:

- المبحث الأول جاء بدراسة السنن الالهية للصالحين في القرآن الكريم.
- المبحث الثاني جاء بدراسة سنة ولاية الله للصالحين في القرآن الكريم.
- المبحث الثالث جاء بدراسة سنة ولاية الله للصالحين في سورة يوسف(عليه السلام).

وسيتم تناول كل منهما على النحو الآتي:

المبحث الأول
السنن الالهية للصالحين في القرآن الكريم

ان السنن الإلهية هي كل ما يجريه الله سبحانه وتعالى ويحكم به مما يكون جريانه امراً مطرداً لا يتخلف عند وجود سببه، "أو هي طريقته وعادته السالفة المطردة المستمرة المعلومة في خلقه وعرفها ابن تيمية بأنها العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بنظيره الأول، وعرفها محمد رشيد رضا بأنها الطريقة الثابتة المطردة التي يحكم الله تعالى بها على الكون، ان المتأمل للسنن الإلهية نجدها لا تخرج عن نوعين الأول: السنن الدينية الشرعية وهي التي تكون متعلقة بدين الله وأمره ونهيه ووعده ووعيده كسنته تعالى في نصر رسله وأوليائه على أعدائهم، ومن أهم مميزات هذا النوع أن سننه لا تتغير ولا تتبدل قال ابن حزم: فإنه لا يشك أحد من المسلمين قطعا في أن كل ما علمه رسول الله ﷺ أمته من شرائع الدين واجبها وحرامها ومباحها فإنها سنة الله تعالى... فصح يقينا لا شك فيه أن كل سنة سنها الله تعالى من الدين لرسوله ﷺ وسنها رسوله عليه السلام لأمته فإنها لا يمكن في شيء منها تبديل ولا تحويل أبدا، وعليه سنقسم هذا المبحث على مطلبين: نتناول في المطلب الأول سُنة الله في بيان خصائص واوصاف الصالحين في القرآن الكريم، بينما نتناول في المطلب الثاني سُنة الله في التفريق بين المؤمنين و الصالحين في القرآن الكريم، وعلى النحو الآتي:

المطلب الأول
سُنة الله في بيان خصائص واوصاف الصالحين في القرآن الكريم

يقصد بالصالحون هم اولئك الّذين صلحت نفوسهم و استقامت أحوالهم و طريقتهم باتباعهم لشريعة الله جلّ شأنه و الدوام على طاعة الله، فصاروا حجه على خلقه، يحتجّ بهم على من يخرج عن الصراط المستقيم، و بتزكية نفوسهم بصالح الأعمال، فتأهّلوا لفيضه عزّ و جلّ و تهيّؤوا لنعمه و كرامته و هذه الطائفة هي آخر الطوائف الّتي هي صفوة الله تعالى من عباده ويتصف الصالحون بمجموعة من الصفات والخصائص وان من أهم سمات الصالحين في القرآن هو إيمانهم بالغيب ومما لا شك أن هذه الصفة أهم صفاتهم، فإنها التى تدعوهم إلى العبادة والانقياد الكامل لأمر الله عز وجل ونهيه، وهذه الصفة هى أول صفة وصفهم الله تعالى بها فى كتابه وكذلك العفو والصلح أن يعفوا عمن ظلمه ويعطي من حرمه، وقد أخبر الله تعالى أن من اتصف بهذه الصفة فأجره على الله تعالى ﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾[i]، ويتميز الصالحين بسمات وصفات حسنة ومنها:

1. قلوبهم نقية عامرة بالخير

"قلب العارف كالمرآة المصقولة يتلقى أنوار الله ويعكسها على عباد الله إنها قلوب أشربت بالأنوار؛فاستفادت منها، ثم نقلت ما شاء الله من هذه الأنوار إلى غيرها من القلوب التي لا تقوي على تجلي أنوار الله فيها مباشرة ؛فقلوبهم كالمحولات الكهربائية تستقبل التيار العالي، وتقوم بتوزيعه إلي حيث يستفيد منه الجميع." [2]

2. ألسنتهم رطبة بذكر الله

"اللسان ترجمان القلب وانشغاله بذكر الله دليل على عمار القلب بالمذكور، وقد يتفق القلب واللسان ويتحدان بالذكر وهذا من أكبر العطاء، وقد يختلفان فكم من ذاكر بلسانه غافل قلبه! وكم من ذاكر بقلبه

صامت لسانه ولا شك أن ذكر القلب أقوى وأعلى من ذكر اللسان، والذكر على أي حال بالقلب أو باللسان؛فيه الخير والنفع وخير الذكر؛ما اجتمعا عليه معاً القلب واللسان." [3]

3. إنهم لا يغترون بطاعة

يرى سادتنا الأولياء أن طاعتهم من فضل الله عليهم وتوفيقه لهم؛فهم يشكرون ربهم لرحمته بهم وإقامته إياهم في مقام الطاعة، كما أنهم يعلمون أن الله خلقهم لغاية جليلة وهدف عظيم؛ألا وهو تحقيق معنى العبادة ؛لذلك أحيوا ليلهم بالقيام ونهارهم بالصيام، إنهم كما وصفهم الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ**﴾[4]، إنهم أهل الله وخاصته من عبادة ما اتصفوا بتلك الصفات؛إلا لأنهم عرفوا الهدف من وجودهم، وسعوا في تحقيقه كما حدثتنا السورة نفسها في أواخرها، إنها عبادة عامة شاملة تنسحب على جميع أحوالهم في يقظتهم ونومهم، في تحركهم، وسكونهم؛لأنهم ينامون على ذكره، ويستيقظون على شكره ويتحركون له ويسكنون به.

4. إنهم لا يصرون على معصية

أولياء الله ليسوا معصومين، فإذا ما ارتكبوا ذنباً أو حدثت منهم معصية فهم لا يرضون عن الذنب، ولا يصرون على المعصية، إنهم في غالب حالهم على صراط مستقيم، فإذا ما انحرفوا عن الصراط المستقيم، وهذا وارد لأنهم غير معصومين عادوا إليه مسرعين فهم كما قال الله تعالى ﴿**وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾[5].

5. لومهم عن إلهام ووراثة قبل أن تكون بحثاً ودراسة

هذا عن الإلهام نوع من الوحي يلقيه الله على قلب من يشاء من عباده وأحبابه، وهو غير وحي النبوة والرسالة التي ختمت بسيد الخلق صلى الله عليه وعلى آله وصحبة وسلم، والقرآن الكريم حدثنا، الوحي الإلهامي كالذي حدث لأم سيدنا موسى عليه وعلى أمه السلام، وللسيدة مريم وليدها سيدنا عيسى السلام، وللعبد الصالح مع سيدنا موسى عليهما السلام عليها مع عودة"[6].

المطلب الثاني

سُنة الله في التفريق بين المؤمنين و الصالحين في القرآن الكريم

وصف الله تعالى المؤمنون بكثيرٍ من الصفات والأخلاق الحميدة في القرآن الكريم، وقد أثنى عليهم ويتصف المؤمنين بأنهم خاشعين في صلاتهم، معرضين عن اللغو، والذي يُعرف بأنه الباطل مهما اختلف شكله، والذي يمكن أن يبدأ من كل قول أو فعل لا طائل منه أوفائدة، ويصل إلى مرتبة الشرك بالله، ومن ثمّ فإنّ المؤمنين يؤدّون الزكاة التي عليهم لمستحقيها، وهم بذلك يطهرون أموالهم وينمونها بالخير والبركة، ومن صفاتهم أيضًا أنهم يحفظون فروجهم عن الزنا، ويعفّون أنفسهم عن ذلك الفعل، كما أنهم يؤدّون أماناتهم التي ائتمنوا عليها، وأعظم هذه الأمانة هي الفرائض التي افترضها الله على عباده، ويوفون عهودهم، ويحافظون على صلاتهم، فهي أهم وسائل فلاح العبد في الدنيا والآخرة وهم الذين إذا تليت عليهم آيات الله تعالى تدّبروها، ومن ثمّ عملوا بها، تتحرك قلوبهم إذا ذُكر الله بالحب، وبالرجاء، والخوف، تحجزهم بذلك عن المعاصي، وتدفعهم إلى الازدياد من العمل الصالح، وهم يتوكلون على الله في كل شؤون حياتهم، ويعتمدون عليه في تحصيل المنافع ودفع المضار لم تدركها النفوس عن طريق دائرة الحس الضيقة، فليست هي بحقيقة مادية تُدرك بالحواس المعروفة ولكن هي حقيقة معنوية علوية تدركها القلوب السليمة، فتأخذ النفوس من أقطارها، وتظهر ثمارها الطيبة نظافة في الشعور ورفعة في الأخلاق واستقامة في السلوك، تلك الحقيقة التي تتجسد في نفوس المؤمنين من خلال مظاهر عديدة، يمكن الاشارة إلىٰ أبرزها اهتداءً بقبس من نور النبوة وحماة منهجها، وهي:

أولاً: التسليم لله تعالىٰ والرّضا بقضائه: يقول الرسول الأكرم صلىالله عليه وآله وسلم: **"إنَّ لكلِّ شيء حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتىٰ يعلم أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه"**[7]، فالمؤمن حقاً هو الواثق بالله تعالىٰ وحكمته المستسلم لقضائه، والمتقبل لما يجيء به قدر الله في اطمئنان أياً

كان، روى الصدوق، بسنده عن النبي صلىالله عليه وآله وسلم أنه لقي في بعض أسفاره ركب فقال: **ما أنتم ؟** قالوا: نحن مؤمنون.

ثانياً: الحب في الله والبغض في الله: وهو من أبرز المظاهر العاطفية التي تعكس حقيقة الإيمان، فحينما يؤثر الإنسان علىٰ ما يحبه ويهواه ما يحبه الله تعالىٰ ويرضاه، وحينما يكون غضبه لله لا لمصلحته الخاصة، فلا شك أنّ هذا الشعور العاطفي العالي يكون مصداقاً جلياً علىٰ عمق إيمانه ومصداقيته، ولذا ورد عن النبي صلىالله عليه وآله وسلم: **"لا يجد العبد حقيقة الإيمان حتىٰ يغضب لله، ويرضىٰ لله، فإذا فعل ذلك فقد استحق حقيقة الإيمان"**[8]، وعن الإمام الصادق عليهالسلام: **"لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتى يحب أبعد الخلق منه في الله، ويبغض أقرب الخلق منه في الله."** [9]

ثالثاً: التمسك المطلق بالحق: يقول أمير المؤمنين عليه السلام: **"إنَّ من حقيقة الإيمان أن تؤثر الحقّ وإن ضرّك علىٰ الباطل وإن نفعك"**[10]، إنَّ ترجيح كفة الحق الضار علىٰ كفة الباطل النافع ما هي إلاّ مظهراً من مظاهر قوة الإيمان الراسخ في أعماق النفس المؤمنة.

رابعاً: حب أهل البيت عليهم السلام هو أحد الحقائق الهامة التي تميز الإيمان الصادق عن الزائف، عن زر بن حبيش قال: رأيت أمير المؤمنين عليه السلام علىٰ المنبر فسمعته يقول: **"والذي فلق الحبة وبرء النسمة، أنه لعهد النبي** صلىالله عليه وآله وسلم **إلي أنه لا يحبك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق"**[11].

خامساً: التدبر والنظرة الواعية: قد تظهر حقيقة إيمان الإنسان من خلال نظرته الفاحصة الواعية لمن حوله، فحينما يرىٰ الناس منهمكين في إعمار دنياهم وتخريب دينهم، فيؤثرون الفاني علىٰ الباقي، يدرك حينئذٍ أنّ هؤلاء عقلاء في دنياهم حمقاء في دينهم، فهذه النظرة وذلك الإدراك يكشفان عن وصول الإنسان لحقيقة الإيمان الواعي.

المبحث الثاني

سنة ولاية الله للصالحين في القرآن الكريم

إنَّ الولاية من حيث الواقع هى الارتباط والالتزام بتعاليم الكتاب والسنة، أى أن العبادة والطاعة هى الواقع والحقيقة بالنسبة للولى عكس ما روج له بعض المنتسبين إلى التصوف من جعل الولاية وصولاً دون شرع أو تكليف، فنحن أمام تصوران، ففي مقابل الذين ربطوا ما بين العلم والممارسة والنظرية والتطبيق والإيمان والعمل، نجد الذين فصلوا ما بين الاثنين، وقالوا أنه لا تصر مع الايمان معصية، وحكموا بالجنة للعصاة الظالمين، فأورثوا أنفسهم، كما أورثونا تخلفاً في العلم وتخلفاً في العمل، وضحالة في الفكر، ونفاقاً استشرى فى الحياة العملية لازلنا نعاني منه حتى الآن. وفي بعض الاحيان يخال الولاية بعض المفاهيم الخاطئة التي تسعى إلى ترسيخ مبدأ انفصام الأمة وعلماؤها عن الواقع واقصد بالواقع الممارسة والتطبيق العملي التي تعبر عنه الشريعة والتكاليف الدينية. حيث ان هذا المفهوم الخاطئ للولاية والدخيل على الحضارة الإسلامية يستهدف عزل الانسان المسلم عن شريعته التي تمثل واقعه وحياته المعاشة، وأننا إذا شئنا أن نجنب أمتنا وحضارتها المرجوة مأساة ذلك الانفصام الذى تشهده الحضارة الغربية اليوم ما بين التقدم فى تطبيقات العلوم التكنولوجيا، وما بين التخلف، إن لم نقل الانحلال والانحطاط فى القيم الانسانية، اللذين يفترسان أغلب قطاعاتها الفكرية والبشرية، أننا إذا شئنا أن نجنب أمتنا وحضارتها ذلك الخطر، وتلك المأساة وآثارها المدمرة، فلابد من أن تلقى أشد الأضواء على صفحات تراثنا العربي الاسلامى وليكن ممثلا في مسألة الولاية التى تؤكد على ضرورة الربط ما بين الفكر والممارسة، والنظرية والتطبيق، والعقيدة، والفعل والايمان والعمل، لأننا إذا استطعنا أن يكون تراثنا في هذا الباب منطلقاً لنا في هذا الطريق كانت لنا امكانيات النجاة مما يعانى منه الآخرون، مما يهدد روح حضارتهم وجوهريات انسانيتهم بالتحلل والدمار ولاهمية ومنزلة الاولياء الصالحين في القرآن سنقوم بتقسيم هذا المبحث على مطلبين: نتناول في المطلب الاول سنة ولاية الله للمؤمنين في القرآن الكريم و آثارها، بينما نتناول في المطلب الثاني سنة ولاية الله للصالحين في القرآن الكريم، وعلى النحو الآتي:

المطلب الاول

سنة ولاية الله للمؤمنين في القرآن الكريم و آثارها

ان من اسمى واعظم الاثار المترتبة على ولاية الله تعالى للعبد المؤمن، وأطيب ثمارها: الهداية للحق، والخروج من ظلمات الكفر والجحود والنفاق إلى نور الإيمان ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ**

إِلَى النُّورِ ﴾[12] فيهب سبحانه أولياءه أسماعاً وأبصاراً وعقولاً تدرك الحق من الباطل، وتميز الهدى من الضلال؛فتسمع آيات الله تعالى وبراهينه فتتأثر بها، وتنقاد إليها وترى عجيب خلقه سبحانه وتدبيره فلا تعبد غيره، ولا تتولى سواه. وينعم عز وجل توفيقا يقودهم إلى الإيمان والعمل الصالح، ويحفظهم من إضلال الضالين، وغوايات الشياطين، وشبهات الملبسين، ومن آثار ولاية الله تعالى للعبد: اجتماع قلبه على رب واحد، فيعبده ولا يعبد غيره، ويلجأ إليه في الملمات داعيا سائلا فيجده قريبا مجيبا، وعلى نبي واحد فيتبعه ويدع التخبط في الآراء والأهواء، وعلى دين واحد يعتقد أنه حق من عند الله تعالى. وأما من تولاه غير الله تعالى فتتجارى به الأهواء، وتتقاذفه الشبهات، وينتقل من باطل إلى باطل؛لعله يجد طمأنينة القلب وراحته ولن يجدها. بل سيبقى قلبه ممزقا ضائعا تائها في مسالك الباطل الكثيرة، وفي القرآن جمع للظلمات، وإفراد للنور؛لتعدد سبل الباطل ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾[13].

ومن آثار ولاية الله تعالى للعبد: محاربته تعالى من يعادي أولياءه، ودفاعه سبحانه عنهم ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾[14]، وفي الحديث القدسي: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ رواه البخاري. ويا له من شرف عظيم، ومقام كريم رفيع، أن يعلن الخالق سبحانه حربه دفاعا عن أوليائه، ويتوعد من يؤذونهم ويعادونهم، وويل لمن حاربه الله تعالى، كيف يفلت منه؟!ومن آثار ولاية الله تعالى للعبد: توفيقه وتسديده لما ينفعه، واستجابة دعائه، وإعطاؤه سؤله، وإعاذته مما يخافه ويحذره؛لأنه حبيب الله تعالى، ومن أحبه الله تعالى وفقه وسدده؛كما قال الله تعالى في الحديث القدسي فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ.

ومن آثار ولاية الله تعالى للعبد: رفع الخوف والحزن عنه في الدنيا وفي الآخرة ؛ففي الدنيا يتعلق قلبه بالله تعالى، ومن تعلق قلبه بالله تعالى لم يخف شيئا، ولن يحزن على ما فاته ولا ما أصابه؛لأنه يحظى بمعية الله تعالى ومحبته وولايته ﴿**وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ**﴾[15]مع بشارات متتابعة متوالية في الدنيا وفي القبر وفي الآخرة، فلا تنقطع بشاراتهم أبدا ﴿**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ**﴾[16]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ عِبَادًا يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ، قِيلَ: مَنْ هُمْ؟ لَعَلَّنَا نُحِبُّهُمْ، قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِنُورِ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ أَرْحَامٍ وَلَا أَنْسَابٍ، وُجُوهُهُمْ نُورٌ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، لَا يَخَافُونَ إِنْ خَافَ النَّاسُ وَلَا يَحْزَنُونَ إِنْ حَزِنَ النَّاسُ، ثُمَّ قَرَأَ﴿**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[17].

المطلب الثاني

سنة ولاية الله للصالحين في القرآن الكريم

إن الأولياء الله الصالحون هم عباده الذين يتقربون إليه بأداء ما فرضه عليهم، ويجتهدون في عبادة وطاعة الله تعالى، طمعاً في نيل رضاه فيمتثلون وينفذون جميع أوامره ويبتعدون عن ما نهى عنه، ويسعون بكل جهدهم في مخالفة النفس وعصيان الشيطان، ويصبرون على الابتلاءات والمحن التي تواجههم في سبيل الوصول إلى ربهم سبحانه، فيملأ قلوبهم بنور معرفته.

وقد حدد الإسلام الصيغة التي تتولى قيادة الدولة الإسلامية ورئاستها – بعد ارتحال الرسول ﷺ – بأن يكون الإمام المعصوم عليه السلام رئيساً للدولة الإسلامية ؛لانه يحقق النموذج الأكمل الذي به تتحقق أهداف الإسلام من تحقيق العدالة والهداية للبشرية، لكن الواقع الفعلي هو عدم قيام الإمامة المعصومة بوظيفة إدارة الدولة الإسلامية وقيادتها؛ويعود السبب الحقيقي وراء ذلك هو عدم إطاعة الأمة للواجب الذي يحتم عليها الامتثال لأوامر الإسلام القائمة على تمكين المعصوم عليه السلام من قيادة الدولة. وعليه؛فلم يحصل هناك تطابق بين الإمام المعصوم **عليه السلام** ورئاسة الدولة إلا في ثلاثة موارد:

المورد الأول: رئاسة الإمام علي عليه السلام للدولة الإسلامية:

بعد مقتل عثمان، كان نظر المسلمين يتطلّع إلى رجل يعيد الأمور إلى مسارها الصحيح، فلم يجدوا أمامهم سوى الإمام **عليه السلام**، فاندفعوا إليه يلتمسون قبول الخلافة.

يقول الطبري: "إن أصحاب رسول الله جاؤوه بعد مقتل عثمان فقالوا له: لابد للناس من إمام ولا نجد اليوم أحق بهذا الأمر منك[18]ولكن الإمام **عليه السلام** قال لهم: دعوني والتمسوا غيري،.. إنا مستقبلون أمراً له

وجوه و ألوان، لا تثبت عليه العقول، ولا تقوم له القلوب،.. دعوني والتمسوا غيري، فإني أكون وزيراً خيرٌ من أن أكون أميراً"[19].

ولم يكن رفض الإمام **عليه السلام** هروباً من المسؤولية، بل لأن تردي الأوضاع بلغ حداً من السوء، إذ بات يتطلب ثورة تغيرية جذرية، قد لا تحتملها النفوس ولا تستقيها الأفئدة [20].

"ولكن بعد اندفاع وإصرار الأمة، طرح شروطه كي يضع المسلمين أمام مسؤولياتهم التاريخية فقال لهم: واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب"[21].

وأذعنت الأمة لشروطه، ومدّت له يد الطاعة، فاستجاب لإلحاحها وانطلق يواجه الواقع بكل تداعياته وتعقيداته، فأخذ كل إمكانياته لإصلاح أوضاع الدولة وشؤونها بعد أن أخذ الفساد يعم كل مفاصلها وأرجائها بفعل سياسة عثمان وبطانته[22]، فقام منهاجه السياسي ومشروعه لبناء الدولة على ضوء أحكام الإسلام وسيرة النبي الأكرم ﷺ، وقام بالتركيز في عملية الإصلاح وبناء الدولة على ميدانين[23]:

الأول: الميدان الاقتصادي: وقد اتخذ إجراءات عدة لإصلاح الوضع الاقتصادي منها:

1. المساواة في العطاء: فقد ألغى الإمام **عليه السلام** سياسة التمييز في العطاء التي كانت سائدة منذ زمن الخليفة الثاني، واعتبر أن الأقدمية والقرابة من رسول الله ﷺ لا تمنح أصحابها امتيازات في الدين لذا تراه يقول **عليه السلام:** فأنتم عباد الله، والمال مال الله، يقسم بينكم بالسوية، لا فضل فيه لأحد على أحد، وللمتقين عند الله غداً أحسن الجزاء وأفضل الثواب[24].

2. رد المظالم: فقام بمصادرة كل الأموال التي استولى عليها ولاة عثمان بغير حق، فأعلن بذلك إلى الأمة: ألا وأن كل قطيعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال[25].

3. الرقابة الاقتصادية: فقام **عليه السلام** بمراقبة حركة البيع في الأسواق، ومعرفة ما يُعرض فيها من بضائع، ومحاسبة من يمارس الاحتكار ويتلاعب بالأسعار والأوزان، كما أوصى بذلك مالك الاشتر: فامنع من الاحتكار، فان رسول الله ﷺ منع منه، وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين[26]وكان **عليه السلام** يطوف بنفسه في أسواق الكوفة لمراقبة حركة البيع فيها[27].

الثاني: الميدان الإداري:

لقد قام الإمام بإجراءات في إدارة الدولة الإسلامية لتطبق برنامجه السياسي وأهدافه، منها:

1. عزل الولاة المنحرفين: فقد قام بعزل الولاة الذين كانوا موضع شكوى واتهام من قبل الناس[28]، مبرراً ذلك بقوله: ولكن آسي أن يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها، فيتخذون مال الله دولا، وعباده خولا، والصالحين حرباً، والفاسقين حزباً[29].

2. الاستعانة بقيادات صالحة: بحيث تكون قادرة وحازمة في إدارتها الحكم في الولايات مثل مالك الاشتر، ومحمد بن أبي بكر، وعبد الله بن عباس وغيرهم.

3. إعداد خطط ومناهج للإدارة: لقد أوضح الإمام خطته وكيفية إدارة الدولة وعلاقة الحاكم بالرعية من خلال وصيته إلى مالك الاشتر عامله على مصر، فهو يحوي على منهاج وطريقة إدارة الدولة.

4. مراقبة الولاة: فلا يكتفي الإمام بتعيين القيادات الصالحة لإدارة الدولة، بل عمل على مراقبة هؤلاء لضمان التزامهم بقواعد الإسلام وأحكام الشريعة، فقد استعان بجهاز مراقبة تزوده بمعلومات عن سياسة الولاة وتصرفاتهم وإن تأكد لديه انحراف احدهم يبادر إلى تحذيره ونصحه وعزله إن استوجب الأمر فقد كتب إلى أحد عماله: "أما بعد،.. فقد بلغني عنك أمر إن كنت فعلته أسخطت ربك، وعصيت إمامك، وأخزيت أمانتك... بلغني انك جردت الأرض فأخذت ما تحت قدميك وأكلت ما تحت يديك، فارفع إليّ حسابك وأعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس"[30].

ولكن منهاج الإمام **عليه السلام** وسياسته في إصلاح وضع الدولة لم ترضِ الكثير من الطامعين لتسنم مناصب قيادية وامتيازات مالية، وسياسة الإمام العادلة سدت أمامهم هذا الطريق، لذلك أعلنوا العصيان وعدم الطاعة فتمردت طائفة ونكثت أخرى، ورفض معاوية التخلي عن حكم الشام، ولما لم تثمر نصائح الإمام، أصرّ الطامعون على المواجهة ودقوا طبول الحرب، فاضطر الإمام **عليه السلام** إلى خوض ثلاثة حروب حالت دون تنفيذ برنامجه وخططه لإدارة الدولة الإسلامية.

المورد الثاني: الإمام الحسن عليه السلام ورئاسة الدولة:

بعد شهادة الإمام علي **عليه السلام** انتقلت مقاليد إدارة الدولة ورئاستها إلى الإمام الحسن **عليه السلام**، ففي أول خطبة له بعد الإمام علي **عليه السلام** أشار إلى خصائص ومزايا الإمام علي **عليه السلام** حيث قال: لم يسبقه الأولون بعمل ولا يدركه الآخرون جاهد بين يدي رسول الله وجبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله، ثم انتقل في خطبته إلى تعريف نفسه بقوله: ايها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي وأنا ابن النبي والوصي وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وافترض مودتهم[31].

وبعد هذا الخطاب قام عبيد الله بن العباس فدعا الناس إلى بيعته فأقبل الناس يتسابقون على بيعته وتمت البيعة في الكوفة والبصرة كما بايعه أهل الحجاز واليمن وفارس وسائر المناطق التي كانت تدين بالولاء والبيعة لأبيه[32].

فقد استلم الإمام الحسن **عليه السلام** السلطة وقام بأفضل ما يمكن القيام به في ذلك الجو المشحون بالفتن والمؤامرات فأقر الولاة على أعمالهم وأوصاهم بالعدل والإحسان ومحاربة البغي والعدوان ومضى على نهج أبيه وسيرته، وكان في جميع حالاته خلال خلافته القصيرة وقبلها وبعدها امتداداً لجده المصطفى وأبيه المرتضى في سياسته وسيرته[33].

المبحث الثالث

سنة ولاية الله للصالحين في سورة يوسف(عليه السلام)

"إن سورة يوسف فيها من الآيات ما لا يُعد ولا يُحصى، وإنَّ العلماء قد تناولوها في خطبهم ودروسهم بكل شكل من الأشكال، وقد لفتت القصة القرآنية في سورة يوسف أنظار الباحثين الذين رأوا فيها معينا لا ينضب من الجمال والجلال، وحسن العرض وقوة التأثير والبحث في القرآن الكريم والتدبر في معانيه عمل لا تنضب مادته، وتذوق الجمال في النسق القرآني بما يقدمه لنا من صور يتيح للنفس فرصة السمو بالأفكار والمشاعر إلى قداسة الرسالة النبيلة للقرآن ليكون ذلك القصص هاديا للمؤمنين إلى الطريق الصحيح، والصراط المستقيم، فالله تعالى يقول: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القصص بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قبله لمن الغافلين كما ان هناك آثار إيمانية تتجلى في اسم الله الولي تظهر في سلوك العبد إذا استشعر عظمة هذا الاسم ودلالاته وتعبد الله به فمن ذلك: زيادة تعظيم الله في قلب العبد، وزيادة إيمانه، واستقامت أحواله، وتقرب العبد إليه حتى يتولاه الله في سائر أموره روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول الله تعالى: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه؛فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، وإن استعاذني لأعيذنه"، أي يحفظه ويسدده في جوارحه ويتولاه بمعيته الخاصة وعليه تم تقسيم هذا المبحث على مطلبين: نتناول في المطلب الأول سنة الله في عرض قصة النبي يوسف(عليه السلام) في القرآن الكريم، بينما نتناول في المطلب الثاني الصفات الشخصية للنبي يوسف(عليه السلام)، وعلى النحو الآتي:

المطلب الأول

سنة الله في عرض قصة النبي يوسف (عليه السلام) في القرآن الكريم

تستمد اغلب المصادر قصة النبي يوسف(عليه السلام)من سورة يوسف المكية التي بنيت معاني هذه السورة الرؤيا والقميص والحيل، فلقد جاءت الرؤيا فيها أربع مرات[34]:

1. الرؤيا الأولى ليوسف: **يا أبت إني رأيت أحدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي ساجدين** [35].
2. الرؤيا الثانية للساقي إني أراني أعصر خمرا[36].
3. الرؤيا الثالثة للخباز إني أمراني أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خبرا تأكل الميرمية [37].
4. وَقَالَ أَمرى - الرؤيا الرابعة للملك: وقال الملك إني أمر كى سبع بقرات سمَانٍ با لهنَّ سَبْعُ حِجَافُ وَسَبْعَ سُبْكَاتِ خضر وأخر يابسات[38].

والقصة بدأت بالقميص **وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمَ كَذِب** [39]، وتوسطها القميص وقدت قيصه من دبر يوسف: ٢٥، وانتهت بالقميص: اذْهَبُوا قَيمِي هَذَا [40]والحيلة جاءت في القصة أربع مرات أيضاً إخوة

يوسف: أرسله معنا خدا بر ويكتب وَإِنَّا لَهُ لحَافِظُونَ [41]وحيلة امرأة العزيز: ﴿**قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُومَا إِنَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ اليه يوسف**﴾ [42]، وحيلة امرأة العزيز أيضاً على نساء المدينة اللواتي أطلقن الشائعات حولها فقد دفعت لهن فاكهة وسكاكين ليس بدافع الأكل إنما بدافع الانشغال بجمال يوسف وجرح أصابعهن، وقد جاءت الآية: ﴿**وَقَطَّعْنَ أَيدين**﴾[43]، من باب تسمية الكل بالجزء، وحيلة يوسف لإعادة الحق إلى نصابه وتحقيق العدالة فلنا جهز هر بجهاز من جمل السِّقَايَة فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُم أن مؤذن أيتها الي انكُمْ لَسَارِقُونَ [44].

وقصة النبي يوسف(عليه السلام)أطول قصة في القرآن، تجتمع حلقاتها كلّها في سورة واحدة، وتلحظ فيها الخصائص الفنية البحتة للقصة، خصائص الموضوع وخصائص العرض والأداء، فالقصة غنية بالعنصر الإنساني.

"وقد بدأت القصة بالرؤيا يقصّها يوسف على أبيه، فينبئه أبوه بأن سيكون له شأن عظيم، وينصحه بألّا يقصّها على إخوته، كي لا يثير حسدهم فيغريهم الشيطان به، فيكيدون له. ثم تسير القصة بعد ذلك، وكأنما هي تأويل للرؤيا، ولما توقّعه يعقوب من ورائها، حتى إذا اكتمل تأويل الرؤيا في النهاية أنهى السياق القصة، ولم يسر فيها كما سار كتاب العهد القديم، بعد هذا الختام الفني الدقيق الوافي بالغرض كل الوفاء، وما يسمى بالعقدة الفنية في القصة الحديثة واضح في قصة يوسف، فهي تبدأ بالرؤيا، ويظل تأويلها مجهولا، ينكشف قليلا قليلا، حتّى تجيء الخاتمة فتحل العقدة حلا فنيّا طبيعيّا، يرضي الذوق الفنّي الخالص، ويرضي الوجدان الدينيّ، ويفي بدوره للقضية الكبرى التي سيقت القصة لها من الأساس والقصّة مقسّمة إلى حلقات، كل حلقة تحتوي على جملة من المشاهد، والسياق يترك فجوات بين المشهد والمشهد، بحيث يترك بين كل مشهدين أو حلقتين فجوة يملأها الخيال، ويكمل فيها ما حذف من حركات وأقوال، ويستمتع بإقامة الصلات بين المشهد السابق والمشهد اللاحق، فيمنح القصة بعض خصائص التمثيلية، ويملأها بالحركة والحيوية، وهذه الطريقة متّبعة في جميع القصص القرآني على وجه التقريب - وهي شديدة الوضوح في القصص الكبيرة، خصوصا قصّة يوسف الصديق"[45].

المطلب الثاني

الصفات الشخصية للنبي يوسف(عليه السلام)

"إن شخصية يوسف(عليه السلام)هي الشخصية المحورية أو الرئيسية في أحداث القصة ؛فقد تواتر حضور اسمه فيها أربعًا وعشرين مرة، هذا الحضور الطاغي لاسم يوسف(عليه السلام)يؤكد أنه لم يغبعن مسرح أحداثها في مشهد واحد؛إذ هو الشخصية الرئيسة، والأحداث كلها من أول القصة إلى آخرها تدور من حوله، وهو إما يقوم بالأحداث بنفسه مباشرة، وإما أن يكون المحرك للشخصيات حتى تقوم بما تقوم به من أعمال وأحداث"[46].

كما إن السورة مسماة باسمه، وأن السياق التاريخي أو السياق الخارجي الذي نزلت فيه السورة الكريمة يؤكد مقصدية التنزيل والتحديد والخصوصية بيوسف(عليه السلام)[47]، ومن المرجح إنّ سبب نزولها تسلية رسول الله ﷺ عما يفعله قومه بما فعل إخوة يوسف بيوسف[48]، وهو عليه السلام نبي قد تعرض للإيذاء من أقرب المقربين إليه، فلا عجب من أن يتعرض محمد ﷺ للأذى من قومه ومنهم أقاربه الذين لم تردعهم القرابة عن التعرض له بالإيذاء.

وإذا نظرنا في جوانب شخصيته عليه السلام من خلال أحداث القصة، وجدناه رجلاً منذ اللحظة الأولى لسرد الأحداث، فهو يرى الرؤيا التي تجعل منه ذلك القائد أو الإمام الذي تسجد له قوى غير بشرية مالكة من القوة والعظم والمكانة ما يُعظم من قدر مَنْ تسجد له، وهذه القوى هي الكواكب الإحدى عشر والشمس والقمر، وإذا ما ربطنا المشهد الأخير تأويل الرؤيا بالمشهد الأول، وتعرفنا كنه هذه القوى الطبيعية الساجدة ليوسف في رؤياه، وأنها ماثلة في أبيه وأمه وإخوته، أدركنا مدى عِظم هذه الشخصية ومكانتها من ربها أولاً، ثم من أهلها وأبناء وطنها ودينها ثانيًا.

وأما الأزمات التي عرضت له، فلم تزده إلا صبرًا وجلدًا ورضًا بقضاء الله تبارك وتعالى، كما لم يزده اعتداء الظالمين عليه إلا حلمًا وعفوًا وصفحًا، فهو من عباد الله المخلَصين الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته بعصمتهم من المعاصي، ولم تزده تجربة السجن إلا جلدًا واجتهادًا في العبادة، ومزيدًا من الصفاء والنقاء الموصل لمرحلة الكشف الرؤيوي الماثل في تأويل الرؤيا؛لأنه من المحسنين إذ أحسن عمله متقيًا

ربه وهو في عنفوانه، ومن ثمة آتاه الله الحكم والعلم، كما زادته تجربة السجن نجاحًا في رسالة نبوته التي اكتسبت أرضًا جديدة بإيمان رفقاء السجن وسجَّانه به، واتسعت هذه الأرض وعظمة بإيمان الملك نفسه وحاشيته كذلك به.

وأما إذا ما جئنا إلى الأوصاف المادية والحسية لشخصية يوسف(عليه السلام)، وجدنا السرد القصصي لا يبوح بوح المباشرة بتلك الأوصاف الحسية التي اشتُهِر بها، أعنى الصورة المثلى للجمال البشري وإنما قنع السرد باستكناه ما بين السطور، أو ما تبوح به ثناياها، ذلك أن كل ما أتى به السرد القصصي للآيات الكريمة هو ما جاء على لسان نسوة المدينة التي جمعتهم امرأة العزيز بعدما قلن قولتهن الواصفة لحالة امرأة العزيز المراودة فتاها أو خادمها عن نفسه ﴿**فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ**﴾[49]، فإن جمهور المفسرين يرون أنهن أكبرنه وأعظمنه واستهولن جماله[50]، هذا الجمال الذي كفلت الإشارة إليه السنة النبوية، فقد قال رسول الله ﷺ فيما رواه أنس بن مالك: "أُعطِيَ يوسفُ عليه الصلاة و السلام شطر الحُسن"[51]، وهو السبب الذي كان وراء مراودة امرأة العزيز له عن نفسه، ولكنه استعصم متمسكًا بدينه وخلقه وعفافه عن الانزلاق نحو ارتكاب هذه الرذيلة.

وإلى جانب ما سبق من أوصافه عليه السلام تبدو صفات أخرى اشتمل عليها السرد القصصي منها الصدق الذي نصت عليه الآيات الكريمة في سياق الاحتكام إلى الشاهد من أهل امرأة العزيز، ذلك أنه قد رأى أن قدَّ القميص من الدبر يجعله صادقًا وهي كاذبة، وهذا ما وجد بالفعل، كما شهدت له المرأة نفسها بالصدق عندما قالت: ﴿**أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ**﴾[52]، ومن دلائل صدقه المرتبط بالكشف أو بالنبوة تأويله لرؤيا صاحبيه في السجن، ووقوع تأويله كفلق الصبح، والأمر نفسه في تأويل رؤيا الملك.

ومن أوصافه كذلك الأمانة والحفظ والعلم بإدارة الأمور وتصريفها، فقد قال للملك ﴿**قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾[53]، وكذلك الحكمة والدهاء الذي بدا في نجاحه في أخذ أخيه بنيامين وضمه إليه بعد تلك الحيلة التي احتالها لإخوته، هذا إلى جانب صفات العدل والكرم الذي بدا في مواضع لعل منها ما فعله مع الملك عند تأويله رؤياه، إذ لم يقنع بتأويلها، وإنما عمد إلى إيجاد حلول للأزمة المنتظرة، ومن صفاته كذلك التسامح والمودة وغيرها، وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن شخصية يوسف تمثل شخصية كثير من الإسرائيليين الذين يتركون أوطانهم، وينتقلون إلى غيرها فينبه شأنهم ويعلو صيتهم، وينهضون نهضات اقتصادية تمكن لهم وتجعلهم أهلاً لما تطلق عليهم من أنهم ملوك المال[54].

الخاتمة

وختاماً لبحثنا هذا فقد توصلنا الى أهم الاستنتاجات والتوصيات، وعلى النحو الآتي:

أولاً: الاستنتاجات:

1. ان الله سبحانه وتعالى تولى النبي يوسف عليه السلام بالرعاية الإلهية في الدنيا والاخرة حيث اختصه بالعلم والكرامة والنجاة من المكائد وعلو المكانة فكانت له رعاية تربوية نتيجة وجوده في اسرة نبي ورعاية مهارية وعلمية بما علمه من تأويل الاحاديث وإنقاذ مصر من ازمة المجاعة وإدارة البلاد.
2. ان الله سبحانه وتعالى كما تولى النبي يوسف عليه السلام في الدنيا فبالتأكيد يتولاه في الاخرة بالرعاية والقبول والجزاء الحسن نتيجة لإحسانه وتقواه فيكرمه الجنان التي وعد المتقون فيها ويمنحه الحق في الشفاعة لمن شهد بالا اله الا الله.
3. ان السنن الإلهية هي كل ما يجريه الله سبحانه وتعالى ويحكم به مما يكون جريانه امراً مطرداً لا يتخلف عند وجود سببه، أو هي طريقته وعادته السالفة المطردة المستمرة المعلومة في خلقه.
4. ان الصالحون هم اولئك الّذين صلحت نفوسهم و استقامت أحوالهم و طريقتهم باتباعهم لشريعة الله جلّ شأنه و الدوام على طاعة الله.
5. ان أولياء الله ليسوا معصومين، فإذا ما ارتكبوا ذنباً أو حدثت منهم معصية فهم لا يرضون عن الذنب، ولا يصرون على المعصية.

ثانياً: التوصيات:

1. ضرورة اتباع منهج علمي في طرح الفكرة وربطها بالاحداث القرآنية للوصول الى الحقيقة العلمية الصحيحة للولاية.

2. ان التعرف على الولاية الإلهية يجب ان يكون من خلال البحث في التفسير المعنوي للايات قبل الدخول في المعاني التي تبثها المصادر العلمية فأساس كل علم هو القرآن الذي لم يغادر صغيرة ولاكبيرة الا واحاط بها.
3. أبراز الدروس السامية والعظيمة التي تتضمنها سورة يوسف بالاستناد الى المصادر الموثوقة.
4. اجتناب اللغو من الكلام، الذي لا فائدة منه، وعدم الخوض فيه، وحِفْظهم الفروج والأنفُس عن المُحرّمات.
5. تزكية النفس وكذلك أداء حقوق العباد، وقضاء حاجات الفقراء والمُستضعفين؛طَمَعاً في نَيْل الأجر والثواب من الله.

الهوامش:

---

i سورة الشورى-40
2 سيد سليم، مع أولياء الله الصالحين، دار القصر وحكايات للنشر الالكتروني، ص17.
3 سيد سليم، مع أولياء الله الصالحين، ص21.
4 سورة الذاريات، 15 – 23.
5 سورة النساء، 110.
6 سيد سليم، مع أولياء الله الصالحين، ص21.
7 علاء الدين علي المتقى بن حسام الدين الهندي البرهان فوري والمشهور بالمتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، دار الكتب العلمية، 2010، 1: 25 / 12.
8 علاء الدين علي المتقى بن حسام الدين الهندي البرهان فوري والمشهور بالمتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، 1: 42 / 99.
9 الحسن بن علي ابن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول، المطبعة الحيدرية ومكتبتها، 2016،: 369.
10 محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق، الخصال، طُبع الكتاب مرتين بالطبع الحجري، الطبعة الأُولى سنة 1302 هـ والثانية سنة 1374هـ. وطبع مرات بالطبع الحرفي ولكن كان فيها الكثير من الأخطاء وهي فاقدة الاسناد. ثم طبع الكتاب بتصحيح السيد فضل الله الطباطبائي اليزدي وهي طبعة مصححة في لفظ الحديث لكن بقيت فيه بعض الأخطاء في الاسانيد. و اخيراً طُبع الكتاب بتحقيق علي أكبر الغفاري عمل في تصحيحه سنداً و متناً سنة 1403، وقام بنشره المكتب التابع لجماعة المدرسين في قم المقدسة في مجلد واحد: 53.
11 الارشاد، للشيخ المفيد، مكان النشر: النجف: الناشر: المطبعة الحيدرية، تاريخ النشر: 1962: 25.
12 [البقرة: 257]
13 [الأنعام: 153]
14 [الحج: 38]
15 [التغابن: 11]
16 سورة يونس: 62 – 64.
17 [يونس: 62]
18 الطبري، تاريخ الطبري، الطبري معروف الحرستاني، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج3، ص450.
19 نهج البلاغة، ص136 خطبة 92.
20 هيئة التأليف في جمعية الإسلامي، الإسلام رسالتنا، ط4 مزيدة ومنقحة، بيروت، الدار الافريقية العربية، 1411هـ/2000م، ص69.
21 نهج البلاغة، ص162، خطبة 92.
22 ينظر: هاشم معروف الحسني، سيرة الأئمة الاثني عشر، ط1، قم، انتشارات الشريف الرضي، 1409هـ، القسم الأول، ص393.
23 هيئة التأليف في جمعية الإسلامي، الإسلام رسالتنا، ط4 مزيدة ومنقحة، بيروت، الدار الافريقية العربية، 1411هـ/2000م، ص70-72
24 محمد بن الحسن طوسي، أمالي الشيخ الطوسي، المكتبة الاهلية، بغداد، ط1، 1964، دون جزء، ص729
25 نهج البلاغة، تحقيق محمد عبدة، دار المعرفة، بيروت، ج1 هامش ص 46
26 نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ص438، كتاب رقم 53.
3 الطوسي، النهاية، ص371-372.
28 هاشم معروف الحسني، سيرة الأئمة الاثني عشر، ص398.

29 نهج البلاغة، كتاب رقم 62ص452.
30 نهج البلاغة، كتاب رقم 40 ص412.
31 هاشم معروف الحسني، سيرة الأئمة الاثني عشر، ج1 ص501-502.
32 هاشم معروف الحسني، سيرة الأئمة الاثني عشر، ج1، ص502.
33 هاشم معروف الحسني، سيرة الأئمة الاثني عشر، ج1 ص505.
34 المصدر السابق نفسه ص130.
35 سورة يوسف: ٤.
36 سورة يوسف: ٣٦.
37 سورة يوسف: ٣٦.
38 سورة يوسف: ٤٣.
39 يوسف: ١٨
40 سورة يوسف: ٩٣.
41 يوسف: ١٢
42 يوسف: ٢٥
43 سورة يوسف: ٣١.
44 سورة يوسف: ٧٠.
45 جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنيّة خصائص السور، ج 4، ص121
46 د. أحمد نوفل، سورة يوسف-دراسة تحليلية، دار الفرقان، عمان، 1989، ص 132.
47 محمد بن مسلم بن عبد الله بن شِهَاب الزهري، الناسخ والمنسوخ - وتنزيل القرآن بمكة والمدينة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1998.
48 ابن عطية: المحرر الوجيز 218/3، ابن أبي نصر البقلي: عرائس البيان في حقائق القرآن، تحقيق أحمد فريد المزيدي146/2- ط1/2.. 8م، دار الكتب العلمية، الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن - 31/3، حاشية الصاوي على تفسير الجلالين 94/3، تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي 5/ 278 وغيرها.
49 سورة يوسف31
50 ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز تفسير ابن عطية ط دار ابن حزم، دار ابن حزم، 2010، 3، ص239.
51 الإمام أحمد بن حنبل، المسند، شرح وفهرسة حمزة أحمد الزين 11/ 338- ط1/ 1995م، دار الحديث، القاهرة، والحديث إسناده صحيح، وقد رواه مسلم في الإيمان بإسراء رسول الله ﷺ، والحاكم في المستدرك وصححه، وكذلك رواه أبو يعلي.
52 سورة يوسف 51.
53 سورة يوسف 55.
54 محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم، يليه عرض وتحليل بقلم خليل عبد الكريم، م1999/4م، سينا للنشر، ص34.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر – بيروت، ط1، 2000، ج5.
2. أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 1998، ج3.
3. أبو محمد ابن أبو النصر البقلي الشيرازي، عرائس البيان في حقائق القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2008، ج2.
4. أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 2002، ج3.
5. أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي، النهاية في مجرد الفقه والفتاوى، چاپخانۀ دانشگاه، طهران، ط1، 1924.
6. أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين الصدوق، كتاب الخصال، مكتبة الصدوق – طهران، ط1، 1885.
7. أحمد بن محمد الصّاوي المالكي الخلوتي الصاوي، حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 2006، ج3.
8. الارشاد، للشيخ المفيد، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الاشرف، ط1، 1962.

9. الإمام ابن حنبل؛ أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله، الشيباني الوائلي، المسند، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1995، ج11.
10. تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري، دارالمعارف، مصر، ط1، 1967، ج3.
11. جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية، خصائص السور، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، ط1، 2000، ج4.
12. الحسن بن علي ابن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول، المطبعة الحيدرية ومكتبتها، النجف الاشرف، ط1، 2016.
13. د. أحمد نوفل، سورة يوسف-دراسة تحليلية، دار الفرقان، عمان، ط1، 1989.
14. سيد سليم، مع أولياء الله الصالحين، دار قصص وحكايات للنشر الالكتروني، ط1، 2019.
15. علاء الدين علي المتقى بن حسام الدين الهندي البرهان فوري والمشهور بالمتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، دار الكتب العلمية، بغداد، ط1، 2010، ج(1، 42)
16. محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم، سينا للنشر – الانتشار العربي، لندن – بيروت – القاهرة، ط1، 1999.
17. محمد بن الحسن طوسي، أمالي الشيخ الطوسي، المكتبة الاهلية، بغداد، ط1، 1964.
18. محمد بن الحسين شريف الرضي، نهج البلاغة للامام علي (عليه السلام)، تحقيق محمد عبدة، دار المعرفة، بيروت، ط1، دون سنة، الخطبة 92.
19. محمد بن مسلم بن عبد الله بن شِهَاب الزهري، الناسخ والمنسوخ - وتنزيل القرآن بمكة والمدينة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1998.
20. هاشم معروف الحسني، سيرة الأئمة الاثني عشر، انتشارات الشريف الرضي - قم، ط1، 1989.
21. هاشم معروف الحسني، سيرة الأئمة الاثني عشر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط1، 1990.
22. هيئة التأليف في جمعية الإسلامي، الإسلام رسالتنا، الدار الافريقية العربية، بيروت، ط4، 2000.